@ 199 @ من أعظم مقويات القلب . ومنها : أن الذكر تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء . كما قال تعالى : ! 2 2 ! . فأمر بالإكثار منه في هذه الحال ، إلى غير ذلك من الحكم . وقوله : ! 2 2 ! أي : إذا أمنتم من الخوف ، واطمأنت قلوبكم وأبدانكم ، فأقيموا صلاتكم على الوجه الأكمل ، ظاهرا وباطنا ، بأركانها وشروطها ، وخشوعها ، وسائر مكملاتها . ! 2 2 ! أي : مفروضا في وقته . فدل ذلك على فرضيتها ، وأن لها وقتا ، لا تصح إلا به ، وهو هذه الأوقات ، التي قد تقررت عند المسلمين ، صغيرهم ، وكبيرهم ، عالمهم وجاهلهم ، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد صلى ا عليه وسلم بقوله : (صلوا كما رأيتموني أصلي) . ودل قوله : ! 2 2 ! على أن الصلاة ميزان الإيمان ، وعلى حسب إيمان العبد ، تكون صلاته ، وتتم وتكمل . ويدل ذلك ، على أن الكفار وإن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة أنهم لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة ، ولا يؤمرون بها ، بل ولا تصح منهم ، ما داموا على كفرهم ، وإن كانوا يعاقبون عليها ، وعلى سائر الأحكام ، في الآخرة . ! 2 2 ! أي : لا تضعفوا ولا تكسلوا ، في ابتغاء عدوكم من الكفار ، أي : في جهادهم ، والمرابطة على ذلك فإن وهن القلب ، مستدع لوهن البدن ، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء . بل كونوا أقوياء ، نشيطين في قتالهم . ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين ، فذكر شيئين : الأول : أن ما يصيبكم من الألم ، والتعب ، والجراح ونحو ذلك ، فإنه يصيب أعداءكم . فليس من المروءة الإنسانية ، والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم ، وأنتم وهم وقد تساويتم فيما يوجب ذلك . لأن العادة الجارية ، أن لا يضعف ، إلا من توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام . لا من يدال له مرة ، ويدال عليه أخرى . الأمر الثاني : أنكم ترجون من ا ما لا يرجون . فترجون الفوز بثوابه ، والنجاة من عقابه . بل خواص المؤمنين ، لهم مقاصد عالية ، وآمال رفيعة ، من نصر دين ا ، وإقامة شرعه ، واتساع دائرة الإسلام ، وهداية الضالين ، وقمع أعداء الدين . فهذه الأمور ، توجب للمؤمن المصدق ، زيادة القوة ، وتضاعف النشاط ، والشجاعة التامة ؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي ، إن ناله ، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية ، والفوز برضوان ا وجنته . فسبحان من فاوت بين العباد ، وفرق بينهم بعلمه وحكمته . ولهذا قال : ! 22 ! كامل العلم ، كامل الحكمة . ^ (إنآ أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بمآ أراك ا ولا تكن للخآئنين خصيما * واستغفر ا إن ا كان غفورا رحيما * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن ا لا يحب من كان خوانا أثيما * يستخفون من الناس ولا يستخفون

من ا وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان ا بما يعملون محيطا * ها أنتم ه ؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل ا عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا * ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر ا يجد ا غفورا رحيما * ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان ا عليما حكيما * ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا * ولولا فضل ا عليك ورحمته لهمت طآئفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل ا عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل ا عليك عظيما) ^ يخبر تعالى ، أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق ، أي : محفوظ في إنزاله من الشياطين ، أن يتطرق إليه منهم باطل . بل نزل بالحق ، ومشتملا أيضا على الحق . فأخباره صدق ، وأوامره ونواهيه عدل ! 2 2 ! . وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس . وفي الآية الأخرى : ! 2 2 ! . فيحتمل أن هذه الآية ، في الحكم بين الناس ، في مسائل النزاع والاختلاف . وتلك في تبيين جميع الدين ، وأصوله ، وفروعه . ويحتمل أن الآيتين كلتيهما ، معناهما واحد . فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد ، وفي جميع مسائل الأحكام . وقوله : ! 2 2 ! أي : لا بهواك ، بل بما علمك ا وألهمك . كقوله تعالى : ! 2 2 ! . وفي هذا دليل على عصمته صلى ا عليه وسلم ، فيما يبلغ عن ا من جميع الأحكام